المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

الفروق العقدية في الآيات القرآنية

إعداد: الدكتورة أماني بنت فلاح الراشدي
أستاذ مساعد في جامعة حفر الباطن
Preparation:Amani Flah AL- Rashdi
Assistant Professor at Hafr Al-Batin University
afalrashidi@uhb.edu.sa

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

الملخص:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فإن هذا هذا البحث الموسوم بـ(الفروق العقدية في الآيات القرآنية) قد اشتمل على الآيات العقدية التي تدل على: نفي المساواة بين الله تعالى والمعبودات الأخرى، ونفي المساواة بين المؤمن والكافر، ونفي المساواة بين الجنة والنار، وبيان معانيها؛ ليجتهد الإنسان في تحصيل العلم والعمل وسلوك الطريق المستقيم؛ ليصل إلى ثواب الله ورضوانه، ويبتعد عن غضبه وعقابه.

الكلمات المفتاحية: نفي المساواة، المؤمن والكافر، الجنة والنار.

Abstract:

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon the Messenger of Allah, his family and companions, and those who follow him. After:

This research, tagged with (doctrinal differences in the Qur'anic verses), has included doctrinal verses that indicate: the denial of equality between the Allah Almighty and other deities, the denial of equality between the believer and the infidel, and the denial of equality between Paradise and Hell, and its interpretation, so that man strives to obtain knowledge, work and follow the straight path, to reach the reward of Allah and his satisfaction, and to stay away from his anger and punishment.

Keywords: negation of equality, believer and infidel, heaven and hell.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي منَّ علينا بنعمة الإسلام، وأمرنا بالتمسك به ليوصلنا إلى دار السلام، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه والأئمة الأعلام.

أما بعد:

فإن الله تعالى يخبرنا في كتابه العزيز أنه لا يتساوى الأضداد في حكم الله ولا حكمته ولا فيما أودعه في فطر عباده، ولا يتساوون في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة، فلا يستوي الله تعالى وغيره، ولا المؤمن والكافر، ولا المطيع والعاصي، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا العالم والجاهل، ولا أحياء القلوب وأمواتها؛ بل بين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله تعالى، لذا كان هذا البحث لبيان (الفروق العقدية في الآيات القرآنية) ليعلم الإنسان هذه الرتب وليعتبر وليجتهد في تحصيل الأصلح لنفسه.

أهمية الموضوع وأهدافه:

١- تعلقه بكتاب الله عز وجل، وما يحويه هذا الكتاب من هدايات.

٢- الرغبة الشديدة في الجمع بين علمي العقيدة والتفسير، والبحث في التفسير ومعاني القرآن الكريم.

٣- الاعتبار بصفات أهل الحق والباطل، وأن من فعل مثل فعلهم أصابه ما أصابهم.

الدراسات السابقة: لم أقف على بحث يتحدث عن الفروق العقدية في الآيات القرآنية، ولكن هناك بعض الدراسات ذات الصلة كمن تحدث عن الأمثال العقدية في القرآن الكريم.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

منهج البحث: الوصفي التحليلي.

خطة البحث: قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة ومنهج البحث، وخطته.

وثلاث مسائل: المسألة الأولى: نفي المساواة بين الله جل وعلا وبين غيره من المعبودات.

المسألة الثانية: نفي المساواة بين المؤمن والكافر.

المسألة الثالثة: نفي المساواة بين الجزاءين الجنة والنار.

وخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

المسألة الأولى: نفي المساواة بين الله جل وعلا وبين غيره من المعبودات

الله جل جلاله لا يماثله شيء ولا ند له ولا عدل له، وقد بيَّن ذلك في عدة آيات منها:

١- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام: أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم ويُنعم عليكم هذه النعم العظيمة، كمن لا يخلق شيئًا ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة؟ {أَفَلا تَذَكَّرُونَ} فتعرفون أن المنفرد بالخلق الذي لا ند أحق بالعبادة كلها، فكما أنه واحد في خلقه فإنه واحد في إلهيته وعبادته[١].

٢- قوله جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٤-٣٥]

[١] يُنظَر: تفسير الطبري، ١٧/ ١٨٦. تفسير السعدي، ص٤٣٧.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

يقول تعالى مبينًا عجز آلهة المشركين وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله {هل من شركائكم} من الآلهة والأوثان من ينشئ خَلْق شيء من غير أصل، فيحدث خلقَه ابتداءً ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيَه، وهذا سؤال على جهة التوبيخ والتقرير، {قل الله} هو الذي يفعل هذا ويستقل به، وحده لا شريك له، {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} أي فكيف تصرفون وتنحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء والإعادة إلى عبادة من لا يخلق شيئًا وهم يخلقون.

{قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ} ببيانه وإرشاده، أو بإلهامه وتوفيقه {قُلِ اللَّهُ} وحده {يَهْدِي لِلْحَقِّ} بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق، فإذًا الله الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتباع أم الوثن الذي لا يهتدي إلا أن يُهدى؟ {فما لكم كيف تحكمون} أي: فما بالكم يُذهب بعقولكم، كيف سويتم بين الله وبين خلقه، وعدلتم هذا بهذا، وعبدتم هذا وهذا؟[1].

٣- قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣].

أفَالرَّبُ الذي هو دائمٌ لا يَبيدُ ولا يَهْلِك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخَلْق، متضمنٌ لها، عالمٌ بهم وبما يكسبُونه من الأعمال، لا يَعْزُب عنه شيء أينما كانوا، كَمن هو هالك بائِدٌ لا يَسمَع ولا يُبصر ولا يفهم شيئًا، ولا يدفع عن نفسه ولا عَمَّن يعبده ضُرًّا، ولا يَجْلب إليهما نفعًا؟ كلاهما سَواءٌ؟[2].

٤- قوله تبارك وتعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ

[1] يُنظَر: تفسير الطبري، ١٥/ ٨٥. تفسير ابن كثير، ٤/ ٢٦٧. تفسير البغوي، تفسير القرطبي، ٨/ ٣٤١. ٤/ ١٣٢.تفسير السعدي، ص٣٦٤.
[2] تفسير الطبري، ١٦/ ٤٦٢. بتصرف.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

ضرب الله تعالى مثلين لنفسه وللآلهة التي تُعبد من دونه:

المثل الأول: أحدهما: عبد مملوك لا يملك شيئًا عاجز عن التصرف، والثاني: حر مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه، هل يستوي هذا وذاك؟! قطعًا لا يستويان، فكذلك الأوثان مملوكة لعابديها عاجزة لا تقدر على شيء، والله سبحانه وتعالى هو الخالق المالك لجميع الممالك الرازق القادر على كل شيء، فهل يستوي القبيلان: الوثن والله تعالى! الجواب: لا، فالحمد الكامل لله عز وجل؛ لأنه الخالق الرازق المنعم، وما للأوثان من يد ولا معروف فتحمد عليه.

والمثل الثاني: مثل رجلين أحدهما: لا يتكلم، عاجز لا يقدر على شيء البتة، لا يجلب نفعًا، ولا يدفع ضرًا، فلا مقال، ولا فعال، وهو مع هذا ثقل وكلفة على مولاه، أينما يرسله لا يأتي بخير، ولا يقضي له حاجة؛ لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يُفهم عنه، والثاني: يتكلم ويأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة، هل يستويان؟ لا يستويان؛ بل بينهما فرق كبير، كذلك الوثن الذي يُعبد من دون الله والله تعالى لا يستويان، الوثن لا ينطق، ولا يقدر على شيء، فلا ينفع نفسه ولا غيره، فلا مقال ولا فعال، وهو كَلّ على من يعبده، يحتاج أن يحمله ويضعه ويخدمه، والله تعالى قادر، متكلم، يأمر بالتوحيد وهو على صراط مستقيم[1].

المسألة الثانية: نفي المساواة بين المؤمن والكافر

لا يمكن أن يتساوى المؤمن الذي يسعى في مرضاة الله بالعاصي أو الكافر الذي يسعى في مرضاة هواه، وقد بيَّن الله تعالى ذلك في عدة آيات منها:

[1] يُنظَر: تفسير الطبري، ١٧/ ٢٦٢. تفسير ابن كثير، ٤/ ٥٨٨- ٥٨٩. التفسير القيم، ص٣٥٣- ٣٥٥. تفسير النسفي، ٢/ ٢٢٤. تفسير البغوي، ٥/ ٣٣. تفسير السعدي، ص٤٤٥.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

١- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣] فلا يستوي من اتبع رضوان الله ومن اتبع مساخط الله، هذان لا يستويان في حكم الله، وحكمة الله، وفي فطر عباد الله؛ بل هم متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم، فالأول استحق رضوان الله وجزيل ثوابه، والثاني استحق غضبه وأليم عقابه[١].

٢- قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ [محمد: ١٤] أي: لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه فعلم الحق واتبعه، بمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله فرأه جميلاً فهو عليه مقيم متبع لما تدعيه إليه نفسه من معصية الله، فما أبعد الفرق بين الفريقين! وما أعظم التفاوت بين أهل الحق وأهل الغي[٢].

٣- قوله جل وعلا: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] أي: لا يستوي من يبصر الحق الذي لا شك فيه ويتبعه، ومن لا يبصره ولا يتبعه. ففرَّق سبحانه بين أهل العلم والعمل، وبين ضدهم، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالاً وخير مآلاً فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها[٣].

٤- قوله سبحانه: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢] هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكبًا على وجهه، أي: يمشي منحنيًا لا يبصر ما بين يديه، وما عن يمينه وشماله، لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب؛ بل تائه

[١] يُنظَر: تفسير ابن كثير، ٢/ ١٥٧- ١٥٨. تفسير السعدي، ص١٥٥.
[٢] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢٢/ ١٦٥- ١٦٦. تفسير السعدي، ص٧٨٦.
[٣] يُنظَر: تفسير البغوي، ٤/ ٣٠٩. تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٥٠. تفسير السعدي، ص٤١٦.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

حائر ضال، أهذا أهدى {أمن يمشي سويًا} منتصب القامة {على صراط مستقيم} على طريق واضح بيّن، هو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة لا اعوجاج فيها. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يحشر يمشي سويًا على صراط مستقيم مفضٍ به إلى الجنة، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم[1].

٥- قوله جلّ ثناؤه: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]

أي: أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء؛ ولهذا قال {ما لكم كيف تحكمون}! أي: كيف تظنون ذلك؟ فلا تسوّوا بينهما فإنهما لا يستويان عند الله، بل المطيع له الكرامة الدائمة، والعاصي له الهوان الباقي[2].

٦- قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]

أي: لا يعتدل الرديء والجيد، والطالح والصالح، والعاصي والمطيع، والمشرك والمؤمن ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم؛ لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلُّوا، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا[3].

٧- قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨] أي: كما لا يستوي الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي المؤمنون المطيعون لربهم، ولا المسيء، وهو الكافر بربه، العاصي له، المخالف أمره، {قَلِيلا مَا تَتَذَكَّرُونَ} أي:

[1] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢٣/ ٥١٥. تفسير ابن كثير، ٨/ ١٨١.
[2] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢٣/ ٥٥٢. تفسير ابن كثير، ٨/ ١٩٨.
[3] يُنظَر: تفسير الطبري، ١١/ ٩٦. التيسير في التفسير، أبو حفص النسفي، ٥/ ٥٠١.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

تذكركم قليل وإلا فلو تذكرتم مراتب الأمور، ومنازل الخير والشر، والفرق بين الأبرار والفجار، وكانت لكم همة عليه، لآثرتم النافع على الضار، والهدى على الضلال، والسعادة الدائمة، على الدنيا الفانية[1].

٨- قوله جل وعلا: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]

أي ينكر الله سبحانه وتعالى على الفجار حُسبانهم أن يساويهم الله بالمتقين {ساء ما يحكمون} أي: ساء ما ظنوا بالله وبعدله أن يساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة، وفي هذه الدار[2].

٩- قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]

أي: لا يتساوى المتفاوتين المتباينين عند الله يوم القيامة، من عَمَرَ قلبه بالإيمان، وانقادت جوارحه لشرائعه، وترك مساخط الله، ومن قد مات قلبه، فأسرعت جوارحه بالآثام والمعاصي وخرج بفسقه عن طاعة الله[3].

١٠- قوله جل ثناؤه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]

هذا توبيخ من الله تعالى لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت، فأعلمهم جل ثناؤه بالتفاوت بينهما، وأن الإيمان بالله والجهاد أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة؛ لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال. وأما العمارة والسقاية فهي وإن كانت أعمالا صالحة، فهي

[1] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢١/ ٤٠٥. تفسير السعدي، ص٧٤٠.
[2] تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٦٧. بتصرف.
[3] يُنظَر: تفسير ابن كثير، ٦/ ٣٦٩. تفسير السعدي، ص٦٥٥.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: {لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[1].

١١- قوله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]

يقول تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ} من قبل هداية الله له {مَيْتًا} في ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي، {فَأَحْيَيْنَاهُ} بنور القرآن والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصرًا في أموره، مهتديًا لسبيله، عارفًا للخير مؤثرًا له، مجتهدًا في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفًا بالشر مبغضًا له، مجتهدا في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره. أفيستوي هذا بمن هو في الظلمات، ظلمات الجهل والغي، والكفر والمعاصي التي لا يتخلص منها، لا يستوي هذا ولا هذا كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات[2].

١٢- قوله جل وعلا: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١]

أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح أعماله من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة، كمن هو كافر مكذب بلقاء الله ووعده ووعيده، آثر اللذة العاجلة على اللذة الآجلة، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، يتمتع كما تتمتع البهائم، ثم هو يوم القيامة من المعذبين. لا يمكن أن يُسوَّى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا[3].

[1] يُنظَر: تفسير الطبري، ١٤/ ١٦٨. تفسير السعدي، ص٣٣١.
[2] يُنظَر: تفسير النسفي، ١/ ٥٣٤. تفسير السعدي، ص٢٧٢.
[3] يُنظَر: تفسير الطبري، ١٩/ ٦٠٤. تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٤٩. تفسير النسفي، ٢/ ٦٥٢. تفسير السعدي، ص٦٢١.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

١٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢]

هذا مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية: الأعمى والظلمات والحرور والأموات مَثَل أهل المعصية، والبصير والنور والظل والأحياء مَثَل أهل الطاعة، فهؤلاء ليسوا كهؤلاء، فالمؤمن بصير سميع، حي القلب حي العمل، يمشي في نور على صراط مستقيم حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم، ميت القلب ميت العمل، يمشي في ظلمات لا خروج له منها، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم[١].

١٤- قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]

هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للكافر والمؤمن، فأما الكافر فعمي عن الحق فلا يبصره، وصم عنه فلا يسمعه، وأما المؤمن فأبصر الحق ووعاه وعمل به، وسمع الحق فانتفع به، فهل يستوي هذا وهذا، أفلا تعتبرون وتتفكرون فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما، فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان؟[٢]

١٥- قوله جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]

أي: هل يستوي الأعمى عن الحق والبصير به، والأعمى هو الكافر الذي عَمى عن آيات الله فلا يتعلمها فيتبعها، والبصير هو المؤمن الذي أبصرَ آيات الله فاقتدى بها واستضاء بضيائها[٣].

[١] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢٠/ ٤٥٨. تفسير ابن كثير، ٦/ ٥٤٣.
[٢] يُنظَر: تفسير الطبري، ١٥/ ٢٩٢. تفسير ابن كثير، ٤/ ٣١٥.
[٣] يُنظَر: تفسير الطبري، ١١/ ٣٧٢. بتصرف.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

١٦- قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]

بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر وبين من أصلح وأفسد واتقى وفجر؛ بل يثيب الله المؤمنين الأتقياء، ويعاقب المفسدين الأشقياء.

وقد فطر الله عقول عباده على استقباح وضع العقوبة والانتقام في موضع الرحمة والإحسان، ومكافأة الصنع الجميل بمثلة وزيادة. وكذلك وضع الإحسان والرحمة والإكرام في موضع العقوبة والانتقام[١].

١٧- قوله جل جلاله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]

لَمَّا قرَّرَ أنَّ اللَّه رب كل شيء، وبَّخهم بعبادة غير اللَّه، وبيَّنَ أنَّ مَن فعل ذلك فهو أعمى عن الرُّشد، والمؤمن بصيرٌ به، ولا يستويان.

وكذلك الكفر والإيمان لا يستويان؛ الكفرُ ظلمةٌ لا يُهتَدى فيها، والإيمانُ نورٌ يُهتَدى فيه[٢].

١٨- قوله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]

أي: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فلا يرجون بحسن أعمالهم خيرًا، ولا يخافون بسيئها شرًا؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، ولا يعلم الفرق بينهما إلا من له لب وعقل[٣].

[١] يُنظَر: تفسير النسفي، ٣/ ١٥٣. التفسير القيم، ٦١٧. تفسير ابن كثير، ٧/ ٦٣. التفسير الميسر، ١/ ٤٥٥.
[٢] التيسير في التفسير، ٩/ ٤٨. بتصرف.
[٣] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢١/ ٢٦٨. تفسير ابن كثير، ٧/ ٨٩. تفسير السعدي، ص٧٢٠.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

١٩- قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]

هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد.

فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتّى شُبِّه بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين.

والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعرف الطريق إلى رضاه. فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، وإحسانه إليه، فهل يستوي هذان العبدان؟[١]

٢٠- قوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤].

أي: لا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته، والشرك به والعمل بمعصيته؛ بل هما متفاوتان وبينهما فرق عظيم[٢].

المسألة الثالثة: نفي المساواة بين الجزاءين الجنة والنار

لا يستوي النعيم الذي أعده الله لأوليائه، والعذاب الذي أعده لأعدائه، وقد بين الله ذلك في عدة آيات منها:

١- يقول تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

[١] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢١/ ٢٨٣. التفسير القيم، ص٤٥٧.
[٢] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢١/ ٤٧١. تفسير ابن كثير، ٧/ ١٨١. تفسير النسفي، ٣/ ٢٣٦.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

مثل الجنة التي أعدها الله لعباده المتقين، أي: نعتها وصفتها الجميلة، {فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} أي: غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاها، {وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} بحموضة ولا غيرها، {وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويذهب العقل ورائحته كريهة، {وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} من شمعه، وسائر أوساخه، {وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} من نخيل، وعنب، وتفاح، ورمان، وأترج، وتين، وغير ذلك، ومغفرة من ربهم، {كمن هو خالد في النار} أي: أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد في النار، التي اشتد حرها، وتضاعف عذابها، {وَسُقُوا} فيها {مَاءً حَمِيمًا} أي: حارًا شديد الحر لا يستطاع، {فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء، عياذًا بالله من ذلك، ليس هؤلاء كهؤلاء، أي: ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات، فسبحان من فاوت بين الدارين والجزاءين، والعاملين والعملين[1].

٢- قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]

أي: لا يعتدل أصحاب النار المعذَّبون، وأصحاب الجنة المنعَّمون، أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه[2].

[1] يُنظَر: تفسير ابن كثير، ٧/ ٣١٤. تفسير السعدي، ص٧٨٦.
[2] يُنظَر: تفسير الطبري، ٢٣/ ٣٠٠. التفسير الميسر، ١/ ٥٤٨.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذا البحث تبيَّن أن الله تعالى لا يساويه شيء، وأن المؤمن لا يساوي الكافر، والمطيع لا يساوي العاصي، والجنة لا تساوي النار.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

وحري بالعبد الذي علم بهذه الفروق أن يختار لنفسه الطريق الأمثل، طريق التوحيد والطاعة، حتى يصل إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض.

والحمد لله أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

المراجع:

القرآن الكريم

ابن قيم، محمد، (١٤١٠ه)، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، الطبعة الأولى، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

ابن كثير، إسماعيل، (١٤٢٠ه)، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار طيبة.

البغوي، الحسين، (١٤١٧ه)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، الطبعة الرابعة، دار طيبة.

السعدي، عبد الرحمن، (١٤٢٠ه)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة الأولى، مؤسسة.

الطبري، محمد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكة المكرمة، دار التربية والتراث.

القرطبي، محمد، (١٣٨٤ه)، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية.

نخبة من أساتذة التفسير، (١٤٣٠ه)، التفسير الميسر، الطبعة الثانية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

النسفي، عبد الله، (١٤١٩ه)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكلم الطيب.

النسفي، عمر، (١٤٤٠ه)، التيسير في التفسير، الطبعة الأولى، تركيا، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث.

References:

KSU Quran

Ibn Qayyim, Mohamed, (1410 AH), Interpretation of the Noble Qur'an (Ibn al-Qayyim), First Edition, Beirut, Al-Hilal House and Library.

Ibn Kathir, Ismail, (1420 AH), Interpretation of the Great Qur'an, Second Edition, Dar Taibah.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الخامس والسبعون شهر (9) 2024
Issue 75, (9) 2024
ISSN: 2617-958X

Al-Baghwi, Al-Hussein, (1417 AH), Milestones of Revelation in the Interpretation of the Qur'an, Fourth Edition, Dar Taibah.

Al-Saadi, Abdul Rahman, (1420 AH), Tayseer Al-Karim Al-Rahman fi Tafsir Kalam Al-Manan, First Edition, Foundation.

Al-Tabari, Mohamed, Jami' al-Bayan on the Interpretation of the Verse of the Qur'an, Makkah, Dar al-Tarbia wal-Turath.

Al-Qurtubi, Mohamed, (1384 AH), The Collector of the Provisions of the Qur'an, Second Edition, Cairo, Egyptian House of Books.

A group of professors of interpretation, (1430 AH), facilitated interpretation, second edition, Medina, King Fahd Complex for Printing the Holy Qur'an.

Al-Nasafi, Abd al-Allah, (1419 AH), Perceptions of Revelation and the Facts of Interpretation, First Edition, Beirut, Dar Al-Kalam Al-Tayeb.

Al-Nasafi, Omar, (1440 AH), Al-Tayseer fi Tafsir, First Edition, Turkey, Dar Al-Labbab for Studies and Heritage Investigation.